## المحاضرة الثالثة

## (بيبليوغرافيا المصنفات النقدية في المشرق والمغرب والأندلس)

أخذ النقد العربي في مطلع القرن الثالث للهجرة ينحو منحى علمياً تصنيفياً، فاتّجه النقاد إلى تأليف الكتب والمنصنّفات التي جمعت الآراء النقدية واللغوية، وما يتصل بها من المسائل الأدبية والشعرية. فكانت هذه الخطوة تجربة رائدة في التحوّل إلى الثقافة الكتابية، والعدول عن الثقافة الشفوية والنقد المروي الذي استمر إلى أوائل عصر الدولة العباسية.

- **المصنفات النقدية في القرن الثالث للهجرة:**

* **طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي**: يُعدّ هذا الكتاب أول محاولة جادة سعت إلى،« جمع شتات آراء سابقيه ومعاصريه في النقد العربي، وتنظيمها تنظيماً علمياً. وكان ذلك أول لبنة في النقد العربي»[1].

لقد استفاد ابن سلام من الفكر النقدي الذي ساد في عصره، ثم راح يقسّم كتابه خمسة أقسام هي:

- **المقدمة**: وهي زبدة الكتاب؛ تطرق فيها المؤلف إلى نشأة علوم اللغة العربية، وضمنها آراء هامة لشتى القضايا الخاصة بالنقد والأدب.

- طبقات الشعراء الجاهليين.
- طبقات شعراء المراثي.
- طبقات شعراء القرى.
- طبقات الشعراء الإسلاميين.

واستند ابن سلام في تدعيم حججه على ذوقه الخاص، وعلى آراء سابقيه ومن عاصرهم من العلماء والرواة والإخباريين، فقدّم عناصر موضوعية دالة في ترجمته للشعراء الجاهليين والإسلاميين، منوّهاً بمسألة الانتحال، وبضرورة تحري النصوص؛ فحاول شرح البواعث والأسباب التي ارتبطت بملابسات القضية.

وعموماً فقد خطا ابن سلام خطوة لامعة في مجال النقد والأدب، ومهّد الطريق للنقاد من بعده؛ إذ فتح لهم آفاقاً رحبة لتطوير الحركة النقدية.

* **كتاب الحيوان، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت 255 ه)**: يُعدّ الجاحظ من أبرز الكُتّاب الذين خاضوا في كثير من القضايا الخاصة بالنقد والأدب؛ فغدت آراؤه على تناثرها وعمومها «حجر الزاوية في بناء النقد والبلاغة»[2]. ويُعدّ الجاحظ مؤسسة البلاغة العربية، فقد فاقت مؤلفاته في شتى

[1] - قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان 2003، ص 290.
[2] - ميشال عاصي، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، ط2، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان 1981، ص 117.

فنون المعرفة ثلاثة مائة وستين مؤلّفاً. ومن أبرز مؤلفاته التي عالجت مسائل النقد والشعر، وقضايا النقد والبلاغة؛ كتاب "البيان والتبيين"، وكتاب "الحيوان". وقد طرح الجاحظ فيهما جملة من القضايا التي أسالت كثيراً من الحبر على مرّ العصور؛ مثل قضية اللفظ والمعنى، النظم، مطابقة الكلام لمقتضى الحال، السرقات الشعرية، الفصاحة...

وقد بدا الجاحظ في معالجته للعديد من القضايا النقدية والبلاغي معلماً فذاً وقمة شاهقة في تاريخ النقد والبلاغة، بما قدّمه للنقد والبلاغة من مادة، وبما بثّ فيهما من الأفكار الذاتية والآراء الشخصية. ولذلك فقد أرسى معالم الفكر الجمالي العربي، إلى الحد الذي يصعب حصرها في جوانب معيّنة من النص.

ـ **الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت 276 ه):** يُعدّ هذا الكتاب من أهم ما أُلّف في القرن الثالث، حمل بين دفّتيه مقدمة قيّمة تكاد تعدل قيمة الكتاب برمته، إن لم نقل تفوقها، حيث تطرق ابن قتيبة إلى الشعر وعناصره، وقواعد نقده، ثم عرّج على الحديث عن المشهورين من الشعراء، دون التقييد بالعامل الزمني، معلناً عن مبدأ المساواة بين القديم والمحدث، ملحّاً على هذه الفكرة التي كثر فيها الجدل في عصره. كما أثار عدة قضايا أخرى؛ كالطبع والصنعة، والدواعي النفسية التي من شأنها التأثير في قريحة الشعراء؛ كسوء التغذية والغم و الحزن...

وعموماً، يمكن تلخيص آراء ابن قتيبة النقدية في ثلاث ركائز أساسية هي:
ـ الحكم على الشعر بحسب قيمة كلا العنصرين الأساسيين وهما: اللفظ والمعنى.
ـ المساواة بين القدامى والمحدثين أمام النقد.
ـ التمسك بالمنهج التقليدي للقصيدة العربية.

*** كتاب البديع لابن المعتز:(ت 296 ه):** يمثّل كتاب ابن المعتز مرحلة هامة من مراحل تطور النقد الأدبي في القرن الثالث للهجرة، ذلك أنه مثّل «أول بحث منهجي في البلاغة والنقد والشعر»[1].

وكان غرض ابن المعتز من تأليف هذا الكتاب هو دحض مزاعم معاصريه الذين ادّعوا أنّ بشاراً، ومسلم بن الوليد، وأبا نواس قد سبقوه إلى هذا الفن الأدبي في شعرهم. وقد بيّن ابن المعتز أن البديع يتضمن خمسة أبواب أساسية هي: الاستعارة، الجناس، الطباق، رد أعجاز الكلام على الصدور، المذهب الكلامي.

وتذكر كتب النقد والأدب أن صنيع ابن المعتز(كتاب البديع) كان من أكبر الأسباب التي جعلت الصراع يحتدم ين أنصار القديم وأنصار الحديث، أما عن منهج ابن المعتز في هذا الكتاب، فإنه قائم أساساً على تعريف هذا الفن، ثم الإتيان بشواهد نثرية منتقاة من القرآن والحديث وكلام العرب في الجاهلية والإسلام.

[1] ـ قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان، ص 338.

**ـ المصنفات النقدية في القرن الرابع:**

**ـ كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي (ت 322 ه):** تضمن كتاب عيار الشعر مجموعة من قضايا النقد وأحكامه؛ إذ استهلها بتعريف مفصل للشعر ومكوناته وعناصره؛ كالإبحار في علوم اللغة، والبراعة في الإعراب، والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبهم. ثم تحدث عن بناء القصيدة، حديث ناقد لبق ومثقف مستفيداً من آراء سابقيه؛ كالجاحظ وابن قتيبة، مستندا على كثير من المصطلحات الشائعة في عصره؛ كإقراره بأنّ الشعر صناعة، وضرورة الاحتكام إلى الفهم الثاقب في تلقي الشعر.

وهكذا، فقد جعل ابن طباطبا العلوي للشعر قوة تخييلية في نفس المتلقي، وغيّر من مفهوم السرقات الشعرية من خلال تحويل المعاني السابقة وإخراجها في غير كسوتها الأولى. وتأسيساً على ما سبق لم يتردد بعض النقاد المعاصرين في جعله «من أوائل المؤسسين لنظرية الشعرية»[1].

**ـ كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر(ت 337 ه):** تضمن كتاب نقد الشعر مقدمة وثلاثة فصول؛ ففي المقدمة التي صيغت بطريقة موجزة، تحدث قدامة بن جعفر عمّا أسماه علم النقد وأهميته ضمن الحقول الأدبية الأخرى. وقد أطلق على العلم الذي يبحث في نقد الأشعار اسم (علم جيّد الشعر ورديئه).

أما الفصل الأول، فقد خصصه للحديث عن حد الشعر، مبيّناً صفات الجودة في العمل الشعري، وما دون ذلك في ثماني مجموعات؛ أربع منها ذاتية (اللفظ، الوزن، القافية، المعنى)، وأربع ناتجة عن ائتلاف هذه العناصر مع بعضها بعض. وسعى قدامة أيضاً إلى البحث عن سبيل لنقد الشعر من خلال تحديده لطبيعة العلاقة بين أربعة عناصر في العملية الشعرية (اللفظ، والوزن، والقافية والمعنى).

أما الفصل الثاني، فقد خصصه للحديث عن نعوت العناصر السابقة، مع إيراد شواهد شعرية. ليخصص الفصل الثالث للحديث عن عيوب الشعر المقترنة بالعناصر المذكورة آنفاً.

ولكتاب نقد الشعر الأثر البالغ و البارز في النقد والبلاغة. إذ كان من المحاولات الجادة للمزاوجة بين الشعر والفكر، قصد التأسيس لبلاغة عربية خالصة. فجهود قدامة في تحديد مقاييس الجمالية جديرة بأن «تقارن بأعمال أرسطو في (فن الشعر) وبالجرجاني في نظرية النظم وأسرار البلاغة والبلاغيين والشكلانيين في تحديد طبيعة العلاقة بين اللفظ والوزن والقافية والوزن»[2].

**ـكتاب الموازنة بين الطائيين للآمدي (ت 370 ه):** يُعدّ تأليف هذا المصنف تتويجاً للحركة النقدية التي نشأت واحتدمت في النصف الأول من القرن الرابع حول أبي تمام والبحتري، ولذلك جاء هذا

[1] ـ طراد الكبيسي، في الشعرية العربية، قراءة جديدة في نظرية قديمة، ط1، اتحاد الكتاب العرب، سوريا 2004، ص30.
[2] ـ المرجع السابق، ص 18.

الكتاب جامعاً لآراء المؤلف ونظرته النقدية مضافاً إليه آراء النقاد في المجالس الأدبية بخصوص هذين الشاعرين.

وقد وجدنا الآمدي يعرض حجج المتخاصمين حول أبي تمام والبحتري متكئاً على ثقافته الواسعة في الشعر، واطّلاعه العميق على معاني القدامى والمحدثين، وانتهاجه المنهج الموازن الذي عرفه العرب منذ الجاهلية، متجلياً في المساجلات والمفاضلات. ولذا عُدّ هذا الكتاب، «وثبة في تاريخ النقد الأدبي بما اجتمع له من خصائص لا بما حققه من نتائج. فجاء بحثه في النقد واضح المنهج، ليس فيه إلاّ اليسير من الاستطرادات الجزئية »[1].

**-كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه لعلي الجرجاني(ت 392 ه):** يُعدّ كتابة الوساطة تلخيصاً للأفكار النقدية المتبلورة في القرن الرابع، فقد حلل فيه أشعار القدامى والمحدثين، وتطرق لكثير من محاسنهم وعيوبهم، كما درس بعمق قضايا نقدية عدة طالما تمارى فيها الأدباء والنقاد؛ كالغموض والسرقات والطبع والصنعة... فأدرج كثيراً من المصطلحات الدالة على السرقة؛ كالغصب، والإغارة، والإلمام، وعدّ معرفتها من مهام الناقد البصير، وخصص صاحب الوساطة كذلك فصلاً كاملاً تناول فيه ما عيب على المتنبي من مآخذ، «فدافع في أكثر من موقف نقدي عن شعر المتنبي خصوصاً حين كان بعض النقاد يعيبون عليه بعض المعاني»[2].

**-المصنفات النقدية في القرن الخامس الهجري:**

**-كتاب العمدة لابن رشيق (ت 456 ه):** هو كتاب واسع الشهرة، جمع فيه صاحبه أشتات النقد وآراء سابقيه لصياغتها في كتاب محكم التبويب والتنظيم. وقد بنى ابن رشيق منهجه على النقل والاجتهاد في بلورة الأحكام النقدية، فكان كتابه العمدة نصّاً متكاملاً في استكناه مكامن الجمالية في النص الشعري. وكان نزّاعاً إلى تتبع النصوص الشعرية، والوقوف عندها، والاستشهاد بها. فكان نقده نظرياً وتطبيقياً في آن واحد، في حين شكّل كتابه عيّنة خصبة من النقد المغربي القديم.

**- كتاب دلائل الإعجاز، وكتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (ت 471ه):**

لقد كانت نصوص عبد القاهر ملهمة لكثير من النقاد الذين عاصروه، أو الذين أتوا من بعده، فوجدوا فيها ما يشفي غليلهم في مسائل الإعجاز القرآني، وأدبية الكلام (الشعرية). وغنيّ عن البيان أنّ عبد القاهر الجرجاني قد اتّكأ على دراسة الشعر، وجعله سبيلاً للوصول إلى معرفة إعجاز القرآن الكريم، ليبلور نظرية النظم التي لم يقصرها على الألفاظ، ولا في الوزن، بل جعلها في خاصية تأليف الكلام وتركيبه.

[1] - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط4، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1983، ص 157.
[2] - قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان، ص 434.

ومن هذا المنطلق «أسهم في توضيح مفهوم البلاغة ـ على نحو لم يسبق له مثيل ـ كما أسهم في معالجة كثير من النظريات النقدية بمُعدّات جديدة من الفحص الدقيق والتغلغل النافذ إلى بطون الأمور»[1].

**ـ كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني (ت 684 ه):**

حاول حازم القرطاجني التنظير للشعر وقوانينه، من منطلق مفهومي تتداخل فيه عناصر كثيرة، إلى جانب الوزن والقافية والمعنى واللفظ. يقول حازم: «الشعر كلام موزون ومقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل على ذلك على طلبه أو الهروب منه»[2].

وقد حدثنا حازم في كتابه عن أفكار نقدية كثيرة؛ كالغموض والمحاكاة والتخييل والتلقي.. كما ميّز بين الشعر والخطابة، مؤكداً دور التخييل في تحقق عملية التلذذ الأدبي. فالتخييل، «قوام المعاني الشعرية، والإقناع هو قوام المعاني الخطابية»[3].

وهكذا كان لحازم القرطاجني نظرة عميقة، وأفق شمولي، يزاوج بين كتاب أرسطو (فن الشعر)، ومنطلقات النقد العربي، فكانت أفكاره المرجعية الأكيدة لكثير من الدراسات المعاصرة.

وعلى غرار ما ذُكر من مصنفات، يمكن إضافة عناوين أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها؛ مثل الكامل في اللغة والأدب للمبرد (ت 285 ه)، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت 395ه)، والمثل السائر لابن الأثير (ت 637 ه).

أما في المغرب فهناك كتاب الممتع لعبد الكريم النهشلي (ت 403 ه)، ورسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني (ت 460 ه)، وكتاب المقدمة لابن خلدون (ت 808 ه). وفي الأندلس ألّف ابن عبد ربه (ت 328 ه) العقد الفريد، كما ألّف ابن شهيد (ت 426 ه) التوابع والزوابع.

[1] ـ إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 419.
[2] ـ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح، محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس 1971، ص 66.
[3] ـ طراد الكبيسي، في الشعرية العربية، ص 78.